أهمية السرد في شعر محمد مهدي الجواهري بقصيدة (آهٍ على تلكم السنين) أنموذجاً

م. د. جبار عيدان رزن

الملخص:

تكثر الملامح الفنية لشعر الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري ومن هذه الملامح أنه ينحو منحىً سردياً في العديد من قصائده على شكل قصة أو حكاية أو مجموعة من الحكايات يسطرها بأسلوبه الجزل الأخاذ فتنتج منها (شعرية سردية جواهري) أن صح التعبير.

تتمثل مشكلة البحث في أن هناك قصائد للشاعر تنحو منحىً سردياً.

يهدف البحث إلى استكشاف أهمية السرد في قصيدة (آه على تلكم السنين) من خلال آليات السرد المعروفة من أحداث وشخصيات وزمان ومكان وراوٍ ومروي له.

توصل البحث إلى أن أهمية السرد في شعر الجواهري تتأكد بما للشاعر من طاقة حيوية في تصوير الموضوعات الاجتماعية التي يعيد انتاجها بعد أنْ يشحنها بتلك الطاقة فتزداد في الأنظار سطوعاً وفي الأسماع رنيناً.

يوصي الباحث باعتماد البحث أساساً لكتابة رسالة ماجستير بعنوان (السرد في شعر محمد مهدي الجواهري).

الكلمات المفتاحية: السرد، الأحداث، الشخصيات، الراوي، المروي له

المقدمة:

تتجلى أهمية السرد في شعر الجواهري تجلياً ناصعاً في كونها ملمحاً من ملامح شعريته المعبرة بعمق عن صدق نظرته إلى أمور الحياة المختلفة ومواضيعها المتعددة، على أنه لم يكن راسماً لهذه المواضيع فحسب، بريشته الشعرية، إنما كان له موقف منها، يتفاعل معها صوتاً إنسانيا عراقياً صميماً، ((وفي شعر الجواهري خصائص كثيرة أهمها: الصدق في التعبير عن إحساسه أو اعتماده على المزاوجة بين الصورة وإحساسه الصاخب المضطرب))(من ملامح العصر، محي الدين اسماعيل: ٢٨).

وإذا نظرت إلى شعر الجواهري فسترى السرد فاشياً في أغلب شعره إلى الحد الذي جعله فيه الملمح الرئيس لقصائد فاق عددها الخمس وأربعين قصيدة (في آخر البحث ثبتت بهذه القصائد)، والشاعر في كلٍّ هذا كان معتمداً على إحساسه الشعري العالي الذي يحدد المسار الأسلوبي للقصيدة بحسب الموضوع الذي تعالجه.

وتتأكد أهمية السرد في شعر الجواهري بما للشاعر من طاقة حيوية خلاقة في تصوير الموضوعات الاجتماعية المختلفة بأحداثها وبالتفاصيل الدقيقة لهذه الأحداث مسلِّطًا نظره الثاقب على صور قد تبدو اعتيادية في نظر الآخرين ولكنه يعيد انتاج هذه الصور بعد أن يشحنها بتلك الطاقة فتزداد في الأنظار سطوعاً وتدوّي في الأسماع رنيناً، فمع أنَّ قصيدة (آه على تلكم السنين) هي عبارة عن تذكر لحكايات متعددة إلاَّ أنّها سردية واضحة المعالم إذ ((لا يتوقف علم السرد عند النصوص الأدبية التي تقوم على عنصر القص بمفهومه التقليدي، وإنما يتعدى ذلك إلى أنواع أخرى تتضمن السرد بأشكال مختلفة))(دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، سعد اليازيجي: ١٧٤).

لقد استطاع الجواهري أنْ ينسف الجسور التي تفصل بين الشعر والسرد في شعرية جواهرية متمازجة ولذلك جاءت سردياته الشعرية في نسيج متماسك ضمن شعره لا يمكن أن يتجزأ ففي العديد من قصائده يلجأ إلى السرد فتجيءُ قصيدتهُ قصةً ناطقةً تحتوي كلَّ عناصر القص، أو حكايةً، أو مجموعة حكايات تتضمن آليات

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

السرد المعروفة من حدث وشخصية وزمان ومكان راوٍ ومروي له.

أما في هذه القصيدة (آه على تلكم السنين) (ديوان الجواهري، ج٧/٥٥) فقد سرد لنا الشاعر مجموعة حكايات متعددة، هذه الحكايات هي عبارة عن ذكريات للشاعر من أيام شبابه، بعد أنْ انتقل من مدينة النجف بكل ما فيها من تقاليد اجتماعية متزمتة خالية من الانفتاح؛ ولذلك كان انتقاله إلى مدينة بغداد، سبباً في تغيير الكثير من القناعات التي كانت لدى الشاعر ورسخت في أعماقه الثورة التي كان يشعر بها أزاء الواقع المؤلم للمجتمع العراقي في النجف وبغداد وسائر المدن الأخرى، فمدينة بغداد مدينة منفتحة على الحياة تضم بين جنباتها كلَّ الأطياف الاجتماعية من أقصى يمين التزمت إلى أقصى يسار الانفتاح في مختلف الاتجاهات.

ولمّا كان الشاعر قد أورد حكايات متعددة في هذه القصيدة فإننا سنقسم مباحث السرد على وفق الآتي:

١- الأحداث.
٢- الشخصيات.
٣- الزمان.
٤- المكان.
٥- الراوي.
٦- المروي له.

لأنَّ هذه الحكايات تضمنت أحداثاً متعددة وشخصيات كثيرة.

نظَّم الشاعر قصيدته هذه في منتصف سبعينيات القرن العشرين وكان قد تجاوز الخامسة والسبعين من عمره الذي امتد إلى قرابة المائة عام، فقد توفاه الله (I) في سنة ١٩٩٧ واختلف في ميلاده أهو في بدايات القرن العشرين أم في نهايات القرن التاسع عشر.

لو تأملنا في هذه القصيدة سنلقاها مجموعة آهات وتوجعات على أيام الشباب مستذكراً إياها مع مجموعةٍ من أصدقاء تلك الأيام والمغامرات التي كانوا يقومون بها غير آبهين بمرور الأيام وتقلب الأحوال، يمشون في دروبها، يفتنهم الجنون والمجون وهم يفتخرون بجنونهم ومجونهم ناقمين على تلك الأوضاع المريرة التي كان يمرُّ بها العراقيون متخذين من الكأس والخمر وسيلة للهروب من ذلك الواقع ولذلك فإنهم يتوجهون إلى الحانات التي كانت مشرعة الأبواب في تلك الحقبة لتفريغ ما في نفوسهم من شحناء القهر الذي يعانونه لا يبالون بأيَّ شيء في هذه الدنيا فكلُّ آهاتهم الخوافي ((تستحقها الكأس بالرنين))(قصيدة (آه على تلكم السنين)، ديوان الجواهري، الجزء السابع: ٥٥).

- الاحداث:

تتضمن قصيدة الجواهري مجموعة من الأحداث من خلال ذكرياته مع أترابه من أصدقاء الشباب، لذلك سأتناول هذه الأحداث واحداً واحداً.

- الحدث الأول:

يصوّر الجواهري مجموعة أصدقائه –وهو بينهم– وهم يتغنون منتشين سعيدين كسعادة البلابل والعصافير وهي آمنة مطمئنة مع أنهم في أشدِّ حالات الضيق ويعبر عن الضيق هنا بتشبيه حالهم بالضب وهو في جحره، لكنهم ينتصرون على ما يواجهون من الظروف، أيّ أنَّ الشاعر هنا يصوّر هذه المجموعة وهي تصارع التيار العام العاتي الضاغط الذي من المفترض أنّهُ يولِّدُ الحزن والكآبة لكنهم فرحون، ربما بكونهم مجموعين لانتقاد هذه الأوضاع وبكونهم واعين لطبيعة ما يجري حولهم من أحداث اجتماعية إنهم ينتصرون على ما يواجهون من الظروف بتجاوزها محاولين ولادة الفرح من رحم المأساة، فهم مفلسون ليس معهم درهم ولا دينار لكنهم لا يحملون حقداً على أحد، يضطرهم إفلاسهم إلى رهن أثمن ما لديهم من حاجات أو ربما قاموا برهن أحدهم لأنهم ليس لديهم ما يدفعون ثمناً للخمر الذي احتسوه، أو ربما يلجؤون إلى حيلة أخرى، وهي الاستدانة من النادل الذي يعمل في الحانة، على أمل أن يوفقوا في الايفاء بالدين في ما بعد لكنهم لا يجدون إلى ذلك سبيلاً غير أنْ ينشئوا أبياتاً يرثون بها الدين الذي في أعناقهم، وقد مات، أيّ أن الشاعر هنا يحاول التمسك بفنه واحيائه بعد ما زحف الموت على العقول إذ أنه يجهد نفسه ((في السعي لإعادة الروح إلى الفن، بعدما تهدد بالانفصام بين الشكل والموضوع، بين الخارج والداخل))(عصر الرواية، مقال في النوع الأدبي، د. محسن جاسم الموسوي: ١٤٩).

- الحدث الثاني:

أنهم فتيانٌ في ريعان الشباب وفتوته الباذخة في القوة والطموح إلى تحقيق الأمنيات والحاجات (اللبانات) وهي المطمح المرتجى الذي لا يمكن أن يعوضه مطمح آخر، أنها فورة الشباب عند مجموعة نزقةٍ تحاول أنْ تعوضَ اخفاقات

الحياة وضغوطاتها المستمرة باصطناع غزوات عاطفية تطفئ لهيب حرارة دمائهم في ذلك العمر من جهة وترضي نفوسهم من جهة أخرى بالنجاح في هذه الغزوات للتغلب على الفشل الذي يعانون منه في مجالات الحياة الأخرى ولاسيّما الإفلاس الذي كانوا يعانون منه، والشاعر يحاول أن يقول أنَّ لهم جاهاً وبنين مع أنَّ كلَّ هذا لا يعوض عن تلك الغزوات متناسياً أن السبب الحقيقي للشعور بالخذلان والإنكسار هو إفلاسهم، فالجاه والبنون عوامل ضاغطة أخرى إذا ترافقت مع الفقر وضنك العيش، فالشخص الوجيه لا بُدَّ أنْ يكون جيبهُ عامراً لاستكمال تلك الوجاهة كما أن من لديه البنون يحتاج المال لكي يصرفه عليهم، ويجنح الشاعر إلى وصف تفاصيل عن إحدى تلك الفتوحات –كما يسميها– وقد كانت تلك الغزوة صباحاً لصيد (إحدى الظباء) وهو يكنّي هنا عن احدى النساء، حيث يستثيره النُعاس الذي في عينيها وهي تحاول أن تفتحهما بتثاقل شديد وألقي قرطها –حلية تلبس في آذان المرأة– على جهة اليمين بينما التف حولها على غير انتظام مرطُها –وهو غطاء للرأس خاص بالنساء– بينما انسدل قسم من شعرها على التراقي والقسم الآخر على متنها، وابتسامة حيرى على وجهها، ولا ندري هنا هل الحيرة تعبير عن حالة تلك المرأة أو هو انعكاس لشعور ذلك الغازي بالحيرة وهو ينظر اليها وهي تبتسم وفي عينيها رسالةٌ مبهمة لا يستطيع قراءتها وتفسيرها أو كشف ما تخبئه تلك الابتسامة وهو تصوير بديع من الشاعر لتلك الأحاسيس، والشاعر باحساسه الشعري العالي ينتقل بالسرد انتقالات شفيفة غاية في التعبير عن الأحاسيس الإنسانية أكثر من الساردين الآخرين من كتاب القصة والروائيين كما أظن ((حيث يتشكل الفرد والجماعة معاً في هويتهما من خلال الاستغراق في السرديات والحكايات التي تصير بالنسبة لهما بمثابة تاريخهما الفعلي))(الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، د. نادر كاظم: ٧).

- الحدث الثالث:

يواصل الجواهري آهاته وتوجعاته على تلك السنين التي كانت من الرقة بحيث أنك تهصرها بين أضلاعك وتعيشها بكل أحاسيسك ومن تلك الذكريات يستعرض لنا سفرةً إلى إحدى المناطق الريفية العراقية ويتمنى لو تعاد تلك الأيام حيث الشمس تطلع عليهم من بين النخيل وهم يتنادمون بينهم هازئين بكل شيء في هذه الدنيا ويصف أصحابه بأنَّهم كالصعاليك ليس لديهم طمع في هذه الدنيا، أنفسهم بريئة ولهذا فهي أنَفَسُ ما في الوجود:

أنفَسُ ما في الوجود كنزاً
خُبِّئَ في دمنة وطين

هذه النفس البشرية التي خلقها اللّه (I) على أحسن حال وجعل العقل ميزانها، وجعل الإرادة بيد الإنسان يوجهها حيث يشاء، والجواهري هنا يقول أنَّهم وجهّوا أنفسهم حيث الخير ولا يتمنون سوى أنْ يسود الخير والجمال، على أنَّ في البشر اتجاهات شتى لبني آدم، بين من يصافيك الوداد ويمحظك الوفاء، وفيهم من يخونك على الرغم من وفائك له، والشاعر هنا يحاول أنْ يستبطن ميول أصحابه وهو يتحدث بالنيابة عنهم، فهذه وجهة نظره هو عنهم ربما ليس بالضرورة أنْ تكون وجهات نظر أصحابه مطابقة لما ذهب إليه هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه ربما بنى موقفه ذلك على ما يشاهدُ خارجياً من تصرفات لهم وهم تحت نظر الجماعة لا ندري ما هي توجهاتهم أو تصرفاتهم الحقيقية حين تعرض لهم الدنيا مفاتنها، فهم لم يجربوا مثلاً الأموال الكثيرة وحياة الأغنياء فالكثير من الناس تتغير حالهم بتغيّر أوضاعهم الاقتصادية والمالية ولذلك كلَّه ((يرى البطل أو القارئ أخيراً أن الأحداث والكلمات لا تنسجم مع بعضها، أما لأن البطل تخيَّل شيئاً لم يكن موجوداً حقاً، أو لأن الكلمات والملاحظات التقليدية لم تمثل واقع الموقف)). (نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن: ٢١٤).

فالشاعر هنا يحاول أنْ يغوص إلى كنه طبيعة أصحابه بضربة واحدة –إن صح التعبير– وهذا الأمر غير ممكن؛ وذلك للاختلاف الحاصل بين البشر ولاسيّما في دواخلهم، فلو أنه قد تحدث عنهم واحداً واحداً ربما كان الأمر أقرب إلى الدقة.

- الحدث الرابع:

في هذا الحدث لا يفوت الجواهري وجماعته أبداً أن يتناولوا ولاة الأمور فيعدون معايبهم، ويشبعونهم هجاءً ويقطعونهم تقطيعاً كما يقطع اللحم بالسكين، ويقدم على الموائد يستعرضونهم واحداً واحداً، فكلما انتهوا من أحدهم التفتوا إلى الآخر فيجعلونهم كالعجول بيد الجزارين غير تاركين أيَّ موضع فيهم إلا ويشبعونه طعناً مصطنعين له المساوئ من كل لون.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

نسب بيض الأعناب فيهم
والسود قطفاً وفي الغصون

ولشدة تأثير السكر عليهم فإنهم يجاهرون بسب هؤلاء الساسة لا يخافون من المخبرين السرّيين، فقد طفح عندهم الكيل.

هذا الأمر يؤكد دور (ولي الأمر) كما سمّاه الجواهري والمقصود هنا من يتربع على كرسي السياسة الأول في سدّة الحكم، فإذا كان لهؤلاء أهمية نسبية ولاسيّما في دول العالم المتقدمة القائمة أنظمتها على المؤسسات الرصينة، فإن دورهم يتعاظم في دول العالم الثالث، ومنها العراق، ولك أن تستعرض المآسي التي مرّ بها الشعب العراقي بسبب السياسات الحمقاء لقادة هذا البلد، فقد أدّتْ هذه السياسات إلى كوارث إنسانية مفجعة، تمثلت بانقسامات اجتماعية خطيرة أدّتْ إلى التناحر والاقتتال وذهاب مئات الآلاف من الأنفس البريئة وتشريد وتهجير أعداد كبيرة لا ذنب لهم سوى أنّهم عراقيون، فضلاً عن التخلف الاقتصادي والعلمي الذي رجع بالبلد عشرات السنين إلى الوراء.

إنَّ الشاعر الجواهري كأنما قد قرأ كلَّ هذه الأمور ونبّه إليها هو وتلك المجموعة من أصدقائه، ولذلك فإنهم تناولوا ولاة الأمور بذلك النقد اللاذع، وكانت أمنياتهم وأحلامهم أن تسير أمور البلد إلى شاطئ الأمان بتحقيق حياة كريمة لأبناء الشعب العراقي، لكن السياسيين أول شيء يبحثون عنه هو مصالحهم الشخصية ومنافعهم ضاربين بعرض الحائط كلَّ المبادئ الوطنية الشريفة.

إن موقف الشاعر ذلك من الطبقة السياسية الحاكمة آنذاك يؤكد الإحساس العالي بمسؤولية الكلمة عند الشاعر إزاء مجتمعه، وهو جزء من الالتزام العالي بمصالح أبناء المجتمع العراقي الذي التزم به الشاعر، وكان إحدى أهم ملامح شعره.

الشخصيات:

١-شخصيات مجموعة الأصدقاء:

لقد اختفت شخصيات مجموعة الأصدقاء خلف الشخصية الرئيسة، وهي شخصية السارد، فقد كان يتحدث دائماً بضمير (نا المتكلمين) أي أنّه نصَّبَ نفسه ناطقاً رسمياً باسم هذه المجموعة، ولم يكلف نفسه أبداً في الإشارة إلى حدث معيّن قام به أحدُ أصدقائه بشكل منفرد ولم يشر من قريب ولا من بعيد إلى اسم أو صفة لأيَّةِ شخصية منهم، فالأمر الذي كان محورياً بالنسبة له في تدوين سرديته هذه هو موضوعات الأحداث التي كان يسردها والمواقف الجمعية لهؤلاء الأصدقاء، ممّا يجري حولهم، وكأنّ كل شخصية من هذه الشخصيات نسخة مكررة للشخصيات الأخرى وهو –الكاتب– معذور في هذا لأنه لم يرد أبداً ولم يسعَ إلى كتابة سردٍ قصصي ولكنه سعى إلى كتابة قصيدة على شكل سرد حكائي، استطاع فيه أنْ يأخذنا معه متابعين حركة الشخصيات المشتركة –إن صح التعبير– ومواقفهم تجاه الأحداث الاجتماعية المثيرة التي تجري حولهم، وتؤثر في حياتهم، وتضغطهم بحيث تجعلهم يلجؤون إلى الحانة محاولين الهروب من ذلك الواقع المرير، وعلى الرغم من ذلك كله فشخصيات هذه المجموعة كلهم يمشون كالملوك في دروب الحياة، مع أنهم كانوا يعانون من شظف العيش بحيث يصف هؤلاء –وهو منهم– بأنهم (ملوك حفاة)، لكنهم يكفيهم مجونهم وجنونهم شعوراً بامتلاك العالم والتربع على عرشه متناسين الظروف المأساوية التي يمرون بها، فعلى الرغم من كل ذلك فإنهم غير حاقدين على أحدٍ، يلوذون بكأس شرابهم ((وبالإجمال فإن أيّ سرد مقول أو يجري الإخبار عنه يمكن أنْ يقال أنه يمتلك الوضع الدلالي الخاص بالتأكيد التعجبي)) (المصطلح السردي، جيرالد برنس: ١٠٩) وإنك لتعجب أشدَّ العجب حتى لا تكاد تصدق، فكيف يمكن لهؤلاء أن لا يحقدوا على أحدٍ وهم يعانون كلَّ تلك المعاناة.

شخصيات هذه المجموعة هي الشخصيات الرئيسة الفاعلة للأحداث الأربعة الرئيسة في هذه القصيدة السردية الحكائية وتبرز شخصيات أخرى في هذه الأحداث سنتناولها على الترتيب.

٢ – شخصيات الحدث الأول:

في هذا الحدث تبرز شخصيتان هما الخمار (صاحب محل الخمر) والنادل (العامل الذي يشاغل عند الخمار).

فالشخصية الأولى شخصية انتهازية، تنتهز الفرص للانقضاض على جيوب الزبائن بشتى الطرق، ومنها أنَّه يساومهم مساومة الغبن انتهازاً لعدم امتلاك المال اللازم وهذه الشخصية تريك أنّها تتعاطف معك خارجياً ولكنها من الداخل تترقب تحقيق الهدف المنشود وهو الحصول على أكبر قدر ممكن من المال ((ونحن نذكر التمييز الذي أقمناه بين العاطفة الظاهرة والعاطفة الحقيقية التي تحسها الشخصيات، بعضها نحو بعض)) (الأدب والدلالة، تودوروف: ٦١)،

وهو لايقدم لهم تنازلاً عن دفع المال للخمر الذي يشربونه إلا بأنْ يقدموا الضمانات التي تضمن حصوله على مالٍ أكثر وأما شخصية (النادل) فتبدو شخصية فيها من البساطة والإنسانية الشيء الكثير، ولذلك فإنهم يلجؤون إليه ليستدينوا منه بعض الدراهم التي تعينهم على ما هم فيه من ضيقٍ وإحراج.

٣ – شخصيات الحدث الثاني:

يذكر لنا الشاعر شخصية واحدة هنا وهي شخصية المرأة، حيث أنّهم في جلساتهم في تلك الحانة يبدؤون بسرد مغامراتهم العاطفية وفي إحدى هذه المغامرات التي سمّاها الشاعر بالغزوات تبرز شخصية المرأة المستلبة، فهي شخصية مستلقية مستعدة للفعل الجنسي، لم تبدر منها ولا كلمة واحدة ولا أي فعل سلبي أو إيجابي وفوق ذلك فهي حائرة كما تبدو من ابتسامتها، ونظراتها شاردة فيها هتافٌ أخرس.

٤ – شخصيات الحدث الثالث:

في هذا الحدث لا توجد شخصيات أخرى غير مجموعة الأصدقاء وهم يتذكرون إحدى سفراتهم إلى الريف العراقي.

٥ – شخصيات الحدث الرابع:

وتبرز هنا شخصيتان هما (ولاة الأمور) و(الأذين) وولاة الأمور هم أصحاب المناصب الذين تصفهم السردية بالفساد، ولذلك فإن أفراد مجموعة السارد يصفون (ولاة الأمور) بكل الصفات الذميمة.

وأما (الأذين) فهو شرطي الأمن الذي يتولى نقل كل المعلومات عنك إلى الجهات الأمنية، ومع علمهم بذلك فإنهم لا يخافون منه لأنهم يعلمون أنهم يقولون الحق.

الزمان:

في هذه القصيدة السردية الحكائية يبرز الزمان بروزاً شاملاً كاملاً متعدياً مغطياً كلَّ عناصر السرد الأخرى متربعاً سيداً عليها، فإذا قلّبت النظر في النص فإنك ترى صورة الشاعر وهو يتوجع ويتألم فتسمع أنينه وهو يشكو انفلات الزمن من بين يديه ويتمنى رجوعه (آهٍ على تلكم السنين) مع كلِّ المآسي التي كانت تملأ سلال هذه السنين بالذكريات المريرة.

والملاحظ أن الشاعر هنا يلجأ إلى التكرار، وهو أحدُ الملامح الهامّة لشعر الجواهري، ولو عمدنا إلى تعداد جملة (آهٍ على تلكم السنين) لوجدنا أنه أعادها ستَ مرات وكأنه في هذا الإلحاح يحاول إعادة أيام الشباب وسنينه، والشاعر قد اجتاز سن السبعين عاماً بأعوام، والحنين إلى أيام الشباب ظاهرة إنسانية يشترك فيها كلُّ البشر، ولكن الحنين إلى الماضي ظاهرة عربية خالصة، فشخصية الإنسان العربي بشكل عام ميّالة إلى ذكر الماضي والتغني به، وذكر جماله، ومناقب الماضين، وكثيراً ما يصل الأمر إلى حدِّ تقديس الماضي، وأظنُّ أن ذلك من أسباب تأخر المجتمعات العربية، فهي غير قادرة على إخضاع الماضي للنقد العلمي حتى يمكن من خلال النتائج بناء المستقبل الواعد ((وتتم العودة إلى الماضي بنوعيه القريب والبعيد عن طريق وسائل فنية متعددة)) (ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د.شجاع مسلم العاني: ١٣١).

ونعودُ إلى النص الذي يقول فيه الشاعر أنه وأصدقاءه لا يحسبون حساباً للزمن، إذ يقول:

نسقط في الحاضر المواتي
ما يحملُ الغيبُ من جنينِ

وهذا الأمر يمكن النظر إليه من زاويتين، الزاوية الأولى أنهم كانوا في شبابهم وقوّتهم، ولذلك فإنهم لا يقيمون وزناً لتقلب الأيام، في الحاضر أو في الغيب الذي في المستقبل، وأما الزاوية الأخرى فإن استهانتهم بالزمن تلك هو دليل أكيد على جهلهم بقيمة الزمن، هذا الكائن الخرافي العجيب الذي يتفلت من بين يديك لحظةً بلحظة ويتسلط عليك ويغيّرك من شكل إلى شكل، ومن مزاج إلى مزاج ومن حال إلى حال وأنت سادرٌ لا تدري كيف مرَّت الأيام والسنون؟ وفوق كلِّ ذلك تقول: إنك لا تخاف من الغد المعمّى، لا بأس من ذلك، ولكن أليس على الإنسان أن يحسب للزمن حسابه وأنْ يبني لنفسه الخطط التي تكفل له حياةً تليق بإنسانيته!؟ ومرةً أخرى تقول: أنك لا تبالي بالمنجنون، والمنجنون هو الدهر الذي اضطر الشاعر إلى استعمال هذه المفردة انسجاماً مع القافية، ثم يعود الشاعر من خلال نصِّه فيعترف بعدم تقديرهم للدور الخطير للزمن في حياة الإنسان فهم كانوا يحسبون أنفسهم يعيشون كلَّ الأحيان، بينما كلُّ إنسان مرهون بزمن معين إذ يقضي عليه البارئُ I بالموت والفناء.

وفي غمرة الانسجام مع الزمن الخالي من الشكوى، فإن النفوس البريئة تعيش مع الزمن انسيابه وجريانه فتكون معه على

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

تصالح، هذا التصالح قائم على الغفلة، فالزمن مستمر في خطاه الثابتة ويسير معه الإنسان، تأخذه الأحلام بعيداً وهو يعيش تفاصيل حياته السعيدة من أيام وليالي وسنين بين أحبائه ولكنه لابُدَّ أنَّ يتعب في نهاية مشواره ويتفاجأ بأن الزمن قد بدأ بالانقلاب عليه بعد أن صاحبه سنين طوالاً، ويبدأ غولُ الموت يترصده، إذ ((تتواجد طيات الماضي على شكل طبقات، حيث نستمد منها صورنا للذكرى، لأنها لا تكون صالحة للاستعمال من جراء الموت كحاضرٍ دائم)) (ينظر: الصورة- الزمن، جيل دولوز: ١٥٤).

المكان:

ينقل لنا الجواهري صورةً من إحدى حانات بغداد في ثلاثينيات أو اربعينيات القرن العشرين عندما كانت الطائفة اليهودية تؤلف نسبةً لا يستهان بها من سكان بغداد وكان قسم كثير منهم ومن النصارى يعملون في تلك الحانات، وربما كان بعضهم مهاجراً إلى العراق من أماكن بعيدة لا يعرف إلا القليل من اللغة العربية.

إنَّ الجواهري يغوص في التفاصيل الصغيرة للمكان، وهو يشبه هذا المكان بجحر الضب، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يحسون أنهم كالعصافير في عُشِّها، والذي ((يهمنا تحديد مكانة الشاعر العراقي، لأن ذلك سوف يساعدنا على تبيين اهتماماته ودوافعه وموضوعاته، ومن ثم يسهل لنا الطريق لنتبين آثار ذلك في فنه عامة ونسيجه الشعري خاصة)) (تطور الشعر العربي الحديث في العراق، اتجاهات الرؤيا ومجالات النسيج، د. علي عباس علوان: ١٧).

ويستمر الشاعر في تفاصيل الأماكن فيشير إلى المكان الذي تعيش فيه الغزالة (كناس الغزال) وهو تورية أو إشارة خفية إلى المكان الذي تعيش فيه تلك الجميلة التي يزورها صباحاً،

((**نأتي كناس الغزال صبحاً**
ونقنص الظبي في الكمين))

وهناك تفاصيل كثيرة لأماكن أخرى يحفل بها النص.

الراوي:

يروي لنا الجواهري في سبعينيات القرن العشرين أحداثاً جرت في ثلاثينيات أو أربعينيات القرن العشرين وهو في براغ عاصمة جيكوسلوفاكيا سابقاً، وهذه الأحداث تجري في إحدى حانات بغداد، إذ يروي كلُّ واحدٍ من مجموعة الأصدقاء مغامراته، فالشاعر هنا راوٍ أول عن رواة ثوان، ((وقد اعتبرت هذا دليلاً على أن الأفعال الماضية في الروايات السردية بدلاً من الإشارة إلى أنَّ الوقائع والمواقف قد حدثت في الماضي، تقرر أن هذه المواقف والوقائع رواية وأنها حدثت في الزمن الحاضر المطلق للشخصيات الروائية)) (المصطلح السردي، تأليف جيرالد برنس: ٥٧).

ويحاول الجواهري من خلال تجميع الصور والذكريات أنْ يصنع لنا نصّاً مليئاً بالحياة الإنسانية وعلى الرغم من الآهات التي يطلقها الشاعر بسبب بؤس تلك السنين لكنه يريد عودتها، وهذا يدلنا على الغربة التي كان يعاني منها الشاعر، وهو بعيد عن وطنه -العراق-.

والسرد هنا يبدأ من ذكريات مروية وهي تمثل نقطة في الحاضر متجهة نحو الماضي في استعادة للأحداث التي تحاول أن تستشرف المستقبل من خلال تلك الجلسات حول الطاولة وتبادل الأحاديث.

والملاحظ أن الراوي الرئيس -وهو الشاعر- يروي عن الرواة الثانويين وعن نفسه معهم في الماضي متلاعباً بالنص بوصفه مركزاً للروي.

المروي له:

كان مجموعة الأصدقاء يروي بعضهم لبعض مغامراته – وهم يحتسون الخمر- فهم رواة ومروي لهم في الآن نفسه عندما يتبادلون الأحاديث بينهم، وهناك مروي لهم آخرون هم من قرأ ديوان الجواهري بأجزائه السبعة منذ سبعينيات القرن الماضي حتى اليوم وستستمر مواكب المروي لهم إلى ما يشاء الله I.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يتأكد لنا أن السرد ملمح شعري هام عن ملامح شعرية الجواهري بما للشاعر من طاقة حيوية في تصوير الموضوعات الاجتماعية التي يعيد انتاجها بعد أن يشحنها بتلك الطاقة فتزداد في الأنظار سطوعاً وفي الأسماع رنيناً.

وأن الجواهري من خلال السرد يحاول – وقد نجح – أن يجهد نفسه في السعي لإعادة الروح إلى الشعر بوصفة فناً بعدما فقد الأمل بوجود الجمال في الحياة العامة، وأنه في السرد أكثر دقة من القصاصين والروائيين في التعبير عن الأحاسيس الإنسانية الشفيفة، ولكن ربما لم يوفق الشاعر حين أراد استبطان دواخل أصحابه مصوراً أنهم على مستوى

نفسي واحد في اتجاهاتهم، وهو أمر صعب التحقق لأنَّ كلَّ إنسانٍ بطبيعته مختلف عن الآخر، وفي نهاية هذا البحث آمل أن أكون قد وفقت في تأكيد أهمية السرد في شعر محمد مهدي الجواهري.

المصادر والمراجع:

١. البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د. شجاع مسلم العاني، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤.
٢. تطور الشعر العربي في العراق، اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج، د.علي عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب الحديثة، ٩١، ١٩٧٥.
٣. دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، سعد البازيجي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ المغرب.
٤. ديوان الجواهري، الجزء الأول، محمد مهدي الجواهري، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٣.
٥. ديوان الجواهري، الجزء الثاني، محمد مهدي الجواهري، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٣.
٦. ديوان الجواهري، الجزء الثالث، محمد مهدي الجواهري، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٤.
٧. ديوان الجواهري، الجزء الرابع، محمد مهدي الجواهري، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٤.
٨. ديوان الجواهري، الجزء الخامس، محمد مهدي الجواهري، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٥.
٩. ديوان الجواهري، الجزء السادس، محمد مهدي الجواهري، الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام، ديوان الشعر العربي الحديث (٨٥) دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧م.
١٠. ديوان الجواهري، الجزء السابع، محمد مهدي الجواهري، الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام، ديوان الشعر العربي الحديث (١٣٥) دار الرشيد، ١٩٨٠م.
١١. الصورة- الزمن، جيل دولوز، ترجمة: حسن عودة، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٩.
١٢. عصر الرواية، مقال في النوع الأدبي، الدكتور محسن جاسم الموسوي، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٥.
١٣. المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد بريري، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣.
١٤. من ملامح العصر، محي الدين اسماعيل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣.
١٥. الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، د. نادر كاظم، مركز الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث، البحرين، ط١، ٢٠٠٦.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ثبت بالقصائد الشعرية للجواهري التي تنحو منحىً سردياً قصصياً

١- من كنوز الفرس.	٢٤- يا ام عوف.
٢- اعترافات.	٢٥- الأرض والفقر.
٣- النزغة أو ليلة من ليالي الشباب.	٢٦- قصة.
٤- سلمى على المسرح	٢٧- وحي الموقد.
٥- الأوباش.	٢٨- رباعيات.
٦- الدم يتكلم بعد عشر.	٢٩- براها.
٧- سلمى أيضاً أو وردة بين أشواك.	٣٠- يا نديمي.
٨- تائه في حياته.	٣١- لا تذعه.
٩- عريانة.	٣٢- يا خيالي.
١٠- القرية العراقية.	٣٣- بائعة السمك في براغ.
١١- افروديت.	٣٤- أرح ركابك.
١٢- ليلة معها.	٣٥- زوربا.
١٣- دمعة تثيرها الكمنجة.	٣٦- وصرفت عيني.
١٤- الفرات الطاغي.	٣٧- لجاجك في الحب.
١٥- عاشوراء.	٣٨- أقول مللتها وأعود.
١٦- على قارعة الطريق (حوارية).	٣٩- لمي لهاتيك لمّاً.
١٧- سواستبول.	٤٠- على الرصيف.
١٨- ستالينغراد.	٤١- حبيبتي.
١٩- إليها.	٤٢- فاتنة ورسام.
٢٠- أخي جعفر.	٤٣- آه على تلكم السنين.
٢١- تنويمة الجياع.	٤٤- لغة الثياب أو حوار صامت.
٢٢- اللاجئة في الصيد	٤٥- عصامي.
٢٣- قال.... وقلت.	٤٦- كاليجولا.